حين تُستهلك الدهشة ، الخمول في زمن الأخبار الكبرى

عبد الحليم حمود

2026/07/15

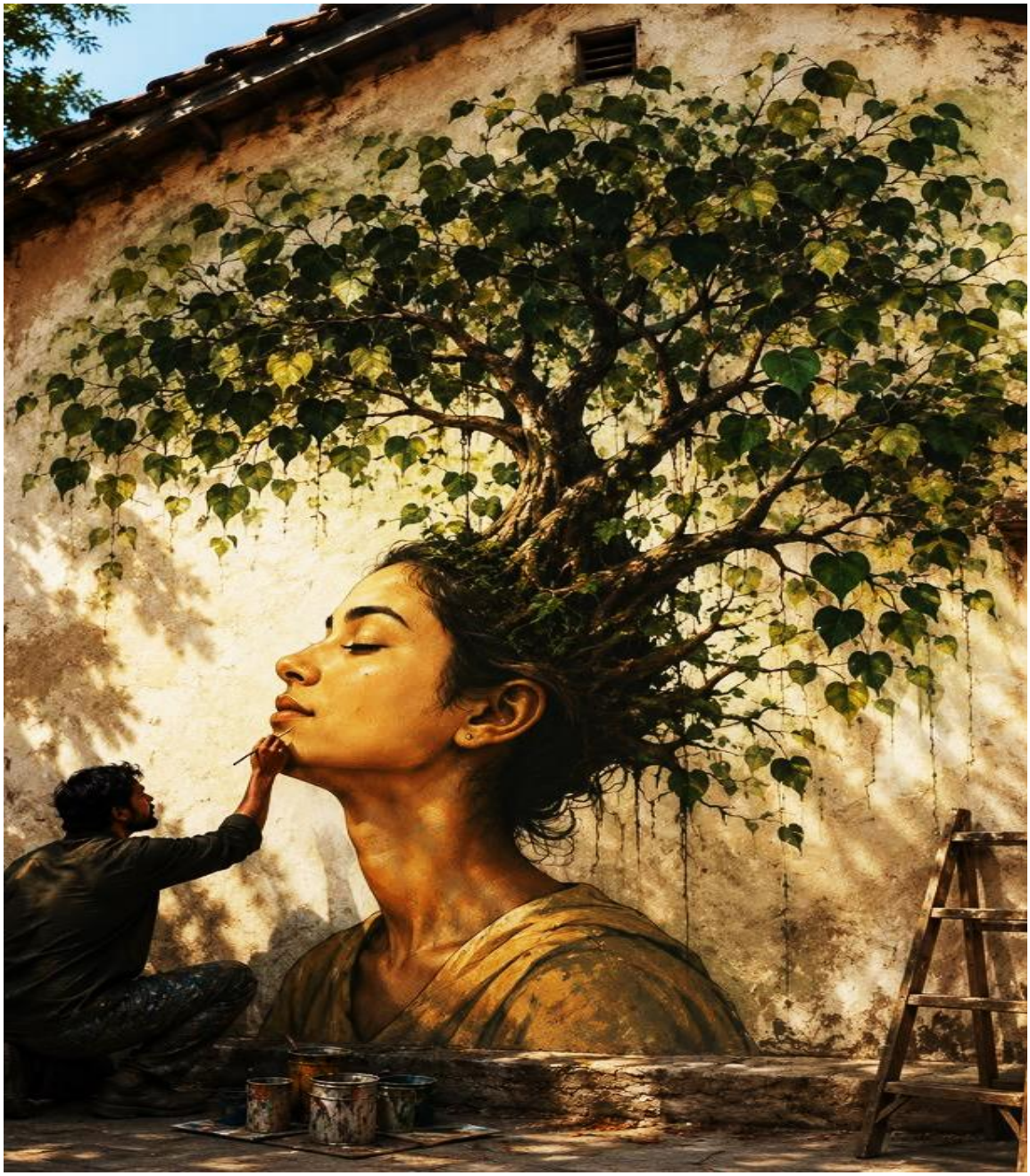

تعيش المجتمعات المعاصرة داخل سيل متواصل من المجازر والانقلابات والتهديدات والتصريحات الحادة والاتفاقيات المصيرية. ومع كل موجة جديدة، تبدأ الاستجابة بانفعال مرتفع، ثم تهبط تدريجياً، حتى يصبح الحدث الاستثنائي جزءاً من إيقاع اليوم. هنا تنشأ ظاهرة يمكن تسميتها «استهلاك الدهشة»: استنزاف القدرة النفسية على منح الخبر وزنه الأخلاقي والسياسي، وتحويل الكارثة من صدمة تُغيّر الوعي إلى مادة عابرة بين إشعارين. يفسر علم النفس هذا المسار عبر مفهوم «التبلّد النفسي». أظهر بول سلوفيك أن الأرقام الضخمة للضحايا تفقد قدرتها على تحريك الوجدان كلما اتسع حجمها، إذ يتفاعل الإنسان بقوة أكبر مع الفرد المحدد مقارنة بالجماعة المجهولة. تتكاثر الأجساد في اللغة الإعلامية، فيما تتقلص الاستجابة العاطفية. عند هذه النقطة، تتحول المأساة إلى إحصاء، ويتحول الإحصاء إلى خلفية مألوفة، فتتراجع طاقة الغضب والتعاطف والمطالبة بالفعل. تضيف أبحاث التعرض المتكرر للمخاطر عنصراً بالغ الأهمية: التكرار المتوسط يرفع الإحساس بالخطر، بينما يؤدي الإفراط في التكرار إلى هبوط هذا الإحساس. يصبح التهديد مألوفاً، والمألوف أضعف قدرة على اختراق الانتباه. هكذا تفقد الحرب رهبتها عبر حضورها الدائم، ويتحول القصف إلى توقيت، والتهديد إلى لازمة، والانقلاب إلى احتمال يومي. على المستوى السياسي، تمنح هذه الحالة القوى المتصارعة مساحة واسعة لإدارة الإدراك العام. كثافة الرسائل، وتزاحم الروايات، وتسارع العناوين، كلها تصنع بيئة يضيع فيها ترتيب الأولويات. تشير دراسات «الإغراق المعلوماتي» إلى استخدام وفرة المحتوى لإزاحة الرسائل القادرة على التعبئة، وتشتيت الانتباه العام، وإضعاف القدرة على بناء فهم مشترك. تصبح الغاية السيطرة على زمن الانتباه: خبر جديد يدفن خبراً سابقاً، وتصريح صاخب يطرد سؤال المحاسبة، وأزمة طارئة تستهلك ذاكرة أزمة أعمق. تعمل هذه الآلية أيضاً عبر تفكيك الزمن السياسي. فالحدث الكبير يحتاج إلى امتداد يسمح بفهم أسبابه ونتائجه ومسؤولياته، بينما تدفع دورة الأخبار السريعة كل واقعة نحو الشيخوخة المبكرة. يتقدم العنوان التالي قبل اكتمال معنى العنوان السابق، فتتقطع السلسلة السببية، وتضعف الصلة بين القرار والنتيجة. وفي هذا المناخ، تتحول السياسة إلى سلسلة مفاجآت منفصلة، ويخسر المواطن القدرة على تكوين سردية متماسكة تساعده على الحكم والمساءلة والمشاركة. ومع تراكم الأخبار، يدخل الجمهور في إرهاق معرفي وانفعالي. تؤكد دراسات الحمل الإخباري أن ازدياد الشعور بالتخمة المعلوماتية يرتبط بارتفاع تجنب الأخبار، فيما يرتبط التعرض الإعلامي الكثيف للأزمات بضغط نفسي حاد. عندها يختار الفرد حماية توازنه عبر الانسحاب، ويغدو الخدر شكلاً دفاعياً يحفظ الطاقة النفسية. النتيجة الاستراتيجية عميقة: يفقد النصر جوهره حين يصل كعنوان إضافي، وتفقد الهزيمة أثرها حين تتساوى مع عشرات الإنذارات اليومية. كما تفقد الاتفاقيات دلالتها حين تُعرض كاحتفال لغوي منفصل عن الخبز والكهرباء والأمن والعمل والحدود والذاكرة. يستمر الحدث، فيما ينكمش معناه. وهنا تحقق كثافة الأخبار وظيفة سياسية خطرة: تخفيض عتبة الصدمة، وتوسيع قابلية المجتمع للتكيّف مع العنف، وتحويل الاستثناء إلى عادة، والكارثة إلى جزء من نظام الحياة. تبدأ استعادة المعنى بإعادة الإنسان إلى قلب الخبر: أسماء، وجوه، تواريخ، خرائط سببية، ومسارات واضحة للأثر اليومي. تحتاج الصحافة إلى إيقاع يمنح الوقائع زمناً للفهم، وتحتاج السياسة إلى لغة تربط القرار بنتائجه الملموسة. كما يحتاج الجمهور إلى مسافات واعية بين موجات المتابعة، تحفظ الانتباه وتمنح العقل فرصة لترتيب الوقائع. فالوعي العام يستعيد حيويته حين يتحول الخبر من صدمة متكررة إلى معرفة منظمة، ومن رقم هائل إلى حياة قابلة للإدراك، ومن ضجيج متتابع إلى مسؤولية جماعية.